خطبة بعنوان

أضرار الشرك بالله

بتاريخ/ ٢ ذو القعدة / ١٤٤٥هـ

لفضيلة الشيخ

محمد بن عبد الله الإمام

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كلام الله، وخير الهدىٰ هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

أما بعد:

اعلموا - معاشر المسلمين - أن أضرار الشرك هي أعمُّ الأضرار وأخطرها وأكثرها، وهي أشدها إفساداً، فلهذا المسلمون بحاجة ماسَّة إلىٰ معرفة الشرك وأضراره في الدين والدنيا والآخرة، وإلىٰ معرفة أضراره العامة والخاصة، الظاهرة والباطنة، وإلىٰ معرفة أضراره في الحال والمآل.

ومما ستسمعون من كلام الله ومن كلام رسوله عليه الصلاة والسلام مني في

هذا المقام سيتضح لكم هذا الذي أقول في أضرار الشرك.

ربنا جل شأنه قال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، فالشرك أظلم الظلم، وأقبح القبائح، وأفجر الفجور، وهو أعظم الذنوب وأكبر الآثام، وهو أرذل الرذائل، عياذاً بالله!

وبيَّن الله لنا في كتابه عظيم ضرر الشرك علىٰ الكون كله وعلىٰ المخلوقات بأسرها قال سبحانه: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾ [مريم:٨٨-٨٩]، أي: عظيماً في الكفر والشرك، لا أعظم منه.

وبيَّن الله عظمة خطر هذا الإدّ فقال: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ [مريم:٩٠-٩١]، فبيَّن الله أن الجمادات الكبرىٰ وهي العالم العلوي والسُّفْلي يتضرر بوجود الشرك، حتىٰ أخبر ربنا عن حال السماوات السبع أنها تكاد أن تتصدع وتتفطر وتتهاوىٰ وتذهب، وهكذا تكاد الجبال أن تخر أي: تتساقط وتتناثر، وهكذا الأرض تكاد أن تتصدع، هذا كله بسبب حدوث الشرك في الأرض، بل متىٰ تفشىٰ الشرك حتىٰ صار في الناس كلهم أقام الله القيامة الكبرىٰ وجاءت الساعة العظمىٰ، وخرَّب الله الكون عاليه وسافله، وأعظم سبب لهذا الخراب: الشرك المذكور.

وكيف لا يكون الشرك - وهو عبادة غير الله - هكذا وقد خلق الله

المخلوقات وجعلها طائعات وخاضعات له وساجدات مسبحات له، وأما الإنس والجن فقد خلقهم الله لعبادته وحده لا شريك له، فشذَّ من شذَّ منهم بالوقوع في الشرك بالله، فجلبوا علىٰ أنفسهم بذلك وعلىٰ الكون كله ما سبق ذكره.

وبعد أن سمعنا حال الكون عند حدوث الشرك فنحتاج إلىٰ أن نسمع ونعرف حال من وقع في الشرك بالله عز وجل.

قال الله في كتابه الكريم: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١]، مثَّل الله للمشرك بمن خرَّ من أعلىٰ الجو والسماء وظل يسقط ويخِرُّ حتىٰ يصل إلىٰ الأرض، فبينما هو في السقوط جاءت ريح عاصفة شديدة فأخذته وألقت ورمت به في مكان بعيد، أو جاءت طيور أخذته عضواً عضواً ورمَت به في مكان بعيد.

ومفاد الآية الكريمة: أن من وقع في الشرك لا خلاص له من الهلاك، ولا نجاة له من ذلك، بل هو هالك ولابد، ومُتلَفٌ ولابد بسبب عِظَم الذنب الذي وقع فيه، هذا حال من وقع في الشرك.

وقال الله في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٦] ، أخبر الله عمَّن وقع في الشرك أنه شرُّ البرية، أي: شرُّ الخلائق، فهو شرُّ الخلائق بسبب ارتكاب هذا الذنب الذي وقع فيه، فأي حال أردأ من هذه الحال.

وبيَّن الله في كتابه الكريم حال المشرك أيضاً فقال: ﴿ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران:١٥١]، والمراد: أن المشرك يلقي الله عليه الذل والهوان والخزي والعار.

ومن أحوال المشرك أيضاً ما قاله الله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الحج:١١] ، الواقع في الشرك بالله خاسر، خسر دنياه وخسر أخراه، فأيُّ خسارة أفظع من هذه الخسارة؟ وأيُّ مسلم يرضىٰ بتعريض نفسه لهذه الخسارة؟!

ومن عواقب الشرك المريرة ونتائجه المبيرة: أن الله أخبر في كتابه الكريم أن الشرك يحبط جميع أعمال صاحبه التي عملها واقترفها من الأعمال الخيرية ومن الأعمال الصالحة، قال الله: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٨٨] فهذه الآية واردة في سياق ذِكْر الأنبياء والرسل، فإذا كان الله يخبر أن الأنبياء والرسل لو حصل من أحدهم الشرك سيحبط الله عمله، مع أن الأنبياء والرسل معصومون من الوقوع في الشرك، ولكن ربنا يقول هذا ليزدادوا حذراً منه وتحذيراً لأمتهم من الوقوع فيه.

ودلت الآية الكريمة علىٰ أن غير الأنبياء والرسل ليسوا معصومين من الوقوع في الشرك بالله، فكل فرد من أفراد المسلمين بعد الرسول عليه الصلاة والسلام ليس معصوماً من الوقوع في الشرك، بل هو معرَّض للوقوع فيه إن لم

يعصمه الله ويحفظه الله من ذلك، ومن وقع في ذلك فلا عافية له بعد الشرك ولا نجاة ولا سلامة ولا أمان لا في الدنيا ولا في الآخرة، قال الله: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣] ، هكذا يسحق الله أعمال من أشرك به، فأي عبادة وعمل صالح خالطه الشرك فمصيرها إلىٰ أن تكون هباءً منثوراً، ومصير صاحبها ملومـًا مدحوراً ومذمومـًا مخذولاً.

وقد جاء عند الإمام الترمذي رحمه الله من حديث أنس رضي الله عنه أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «**قال الله: يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئـًا لأتيتك بقرابها مغفرة**»، الخطر كل الخطر أن يقع المسلم في الشرك، وأعظم من هذا أن يموت علىٰ ذلك، قال الله في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨].

قال الشوكاني رحمه الله في "فتح القدير": "لا خلاف بين المسلمين أن المشرك إذا مات علىٰ شركه لم يكن من أهل المغفرة التي تفضل الله بها علىٰ غير أهل الشرك حسبما تقتضيه مشيئته".

فالمشرك في الآخرة محروم من المغفرة، محروم من الرحمة، محروم من القبول عند الله ومن النجاة بين يدي الله، بل إنه يقع في الهلاك الأكبر، قال الله: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢] .

هذه أحوال من وقع في الشرك بالله، مدمَّر محطَّم مُهان ذليل، حياته أشقىٰ

الحياة وأتعس أنواع الحياة، عياذاً بالله!

فالمسلم بحاجة ماسَّة إلىٰ أن يتعرَّف علىٰ الشرك وأضراره وأخطاره ومفاسده حتىٰ يجتنب ذلك ويبتعد عن ذلك.

وقد جاء عند ابن أبي عاصم في "السنة" من حديث عبد الله بن عمرو أن الرسول صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم قال: «**ما هلكت أمة قط إلا بالشرك بالله**».

انظروا إلىٰ نهاية من وقع في الشرك، فهو يتسبب في هلاكه، ويتسبب في هلاك غيره.

فكم في الشرك بالله من أخطار مترامية متباعدة، ومن مفاسد وأضرار متنوعة، فحال المشرك حال يُشفق عليه منها فيما وقع فيه،وقد أفاد هذا الحديث: أن كل أمة هلكت فأعظم سبب لهلاكها الشرك، شعوب تُدمَّر، ودُوَل تُسحق، ما سبب ذلك؟ الشرك وتوابعه من الموبقات.

وما جعل الله الأمان والنجاة إلا لمن أخلص له الدين ولمن وحَّده ولم يشرك به شيئـًا، قال الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

فهنيئـًا لكل من عرف توحيد الله، هنيئـًا لكل من عرف توحيد الله وعبد الله ولم يعبد غيره، ولم يشرك به.

وقد يقول قائل: وما هو هذا الشرك الذي ضرره كما ذكرت؟

والجواب: هذا الشرك الذي سبق التحذير منه هو دعاء غير الله، وكم في أيامنا هذه من يدعو غير الله، وهو الاستغاثة بغير الله، والذبح لغير الله، وكم في أيامنا من يذبح لأصحاب الضرائح وهو النذر لغير الله، وكم في أيامنا من ينذر لغير الله عز وجل وهو الحلف بغير الله، وكم في أيامنا من يحلفون بصنوف الحلف بغير الله سبحانه وتعالىٰ وهو الخوف من غير الله كالخوف من الله، والمحبة لغير الله كالمحبة لله أو أشد.

هذه كلها من أنواع الشرك، فما بالكم بمن يسجد لغير الله؟ وما بالكم بمن يذهب إلىٰ المشعوذين والدجالين يذهب يبحث عن العافية عندهم التي لا يملكها إلا من له الأمر كله وبيده الخير كله، مَن يقول للشيء كن فيكون، هو الذي يملك العافية، وليس أهل السماء والأرض يملكونها، فكيف يذهب الذاهب إلىٰ عدوٍّ له وهو الدجال الذي يدَّعي أنه يعطي العافية كالسحرة الكفرة والمنجمين الخسرة والكهان المكَرة، فيذهب عند هؤلاء يريد منهم عافية.

انظروا إلىٰ هذا الشقاء، انظروا إلىٰ قاصمة الظهر ألا وهو الجهل الذي يوقع أصحابه في غُبِّ الشرك بالله، فالشرك موجود ومتفشٍّ ومنتشر ومعلوم في أمة الإسلام، ولن ينجو من ذلك إلا من عصم الله بتوحيده وإخلاص الدين له.

يا معشر المسلمين، فتشوا عن أوضار الشرك في أوساطكم، في أقوالكم وفي أفعالكم وفي معتقداتكم، فتشوا عن الشرك لربما وجد أحدكم الدواهي وأنتم تظنون أنكم في عافية وفي سلامة، ولا عافية ولا سلامة مع وجود الغفلة عن

الشرك وأخطاره وأضراره، ولا عافية بسبب وجود الجهل بوسائل الشرك وطرقه ودواعيه.

معاشر المسلمين، إن المسلمين بحاجة إلىٰ أن يعودوا بجدِّيَّة واهتمام وبإقبال تام إلىٰ التفتيش عن آثار الشرك وعن وسائله وطرقه من أجل الإنقاذ الأكبر منه والإصلاح الأعظم، فكما أن الشرك هو الفساد الأكبر فالبعد عنه والاجتناب والترك له والقيام بتوحيد الله هو الإصلاح الأكبر، فمن أراد أن يكون مصلحًا في المسلمين الإصلاح الأكبر فليكن بعيداً عن الشرك، وليكن داعية إلىٰ إفراد الله بالعبادة.

أستغفر الله، إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، وعلىٰ آله وأصحابه، **أما بعد:**

الأنبياء والرسل يخافون أن يقعوا في الشرك مع أن الله قد عصمهم، لكن هذا الخوف منهم من كمال عصمتهم وكمال معرفتهم بسرعة الوقوع في الشرك، وبسهولة الوقوع فيه ممن ليس بمعصوم لا سيما ممن لم يكن عنده ما يحمي نفسه ويدفع عن نفسه الوقوع فيه.

قال الله مخبراً عن إمام الموحدين خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥] ، الأصنام هي الأوثان التي تُعبد من دون الله في كل عصر وفي كل مِصْر إلا من رحمه الله، كانت الأصنام والأوثان في الجاهلية أحجاراً وأشجاراً وقبوراً من قبور الصالحين وغيرها تعبد من دون الله ، فصار في أوساط أمة الإسلام من المعبودات التي كانت في الأمم قبلنا كأمة اليهود والنصارىٰ وغيرها نعبد كما عبدت في تلك الأمم.

فخليل الله إبراهيم يستغيث بالله ويتضرع بين يدي الله أن ينجيه الله من الشرك، وأن ينجي ذريته، قال تعالىٰ مخبراً عنه: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥] ، وقد استجاب الله دعاءه، إن كان المراد بقوله: ﴿وَبَنِيهِ﴾ [عبس:٣٦] إسماعيل وإسحاق فإنهما نبيَّان، بل إسماعيل رسول إلىٰ جانب أنه نبي، فكانا داعيين إلىٰ التوحيد، وكانا محذرين من الشرك، فهذا من استجابة الله له، وأما

بعد ذلك فمن ذرية إبراهيم من سلم ونجا من الشرك، ومنهم من هلك ووقع فيه.

وهذا إمام المتقين وسيد المرسلين محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم يتضرع إلىٰ الله ويدعوه ويستغيث به ويلتجئ إليه سبحانه فقال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبَد**»، رواه أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

هذا الدعاء منه عليه الصلاة والسلام يدل علىٰ خوفه أن يُعبَد قبره كما عُبِدت قبور الأنبياء والرسل من قبله من قِبَل اليهود ومن قِبَل النصارىٰ، فكانت هذه القبور معبودة من قِبَل اليهود والنصارىٰ، فلما بُعث محمد ﷺ ورأىٰ ما هو حاصل من شرك القبور في أمة اليهود والنصارىٰ خاف علىٰ أمته أن تقع فيما وقعت فيه أمة اليهود والنصارىٰ حتىٰ صارتا أمتين مشركتين كافرتين، فقال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبَد**»، فكيف سيكون قبره وثنًا يُعبد؟ الجواب: إذا جاء إليه من جهال المسلمين وأخذوا يدعون الرسول ويستغيثون به ويستنجدونه ويستشفعون عند الله، وغير ذلك من أنواع الشركيات.

وقد حفظ الله وصان الله قبره عليه الصلاة والسلام من أن يُعبَد كما تُعبد الضرائح وكما عُبِدت قبور كثيرة من قِبَل الجُهَّال من المسلمين، فقد عُبِدت ضرائح لبعض المسلمين كما كانت تُعبد من قِبَل اليهود والنصارىٰ ولا يزالون.

فيا معشر المسلمين، المطلوب الإقبال علىٰ توحيد الله، وهو إخلاص العبادة لله، لا شرك ولا رياء ولا سمعة، وإنما رغبة في ما عند الله، رغبة في

الأجور والفضل والكرامة من الله عز وجل.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ، اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته، ولا همًّا إلا فرجته، ولا دينًا إلا قضيته، ولا عدوًّا إلا قصمته، اللهم عليك بأعداء الإسلام، اللهم عليك بأعداء الإسلام، اللهم عليك بأعداء الإسلام، اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين، اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين، اللهم انصر عبادك المجاهدين في سبيلك، اللهم انصر عبادك المجاهدين في سبيلك في كل مكان يا قوي يا عزيز، انصر عبادك وأولياءك في كل مكان في فلسطين وفي غيرها، الله كن لهم ولا تكن عليهم، اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.